بعد يوم . ان اللعبي ينظر الى شعر المقاومة نظرته الى ثقافة ثورية تسهم في حرب التحرير وتضع ثقلها الى جانب الثوار .

يلاحظ اللعبي ان التعرف الى نتاج الارض المحتلة لم يبدأ بشكل واسع الا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ حين اخذت دور النشر (اللبنانية خاصة) تنشر قصائد سميح القاسم ومحمود درويش وتوفيق زياد . والسابقة الوحيدة على هذا الاهتمام كانت القصائد التي يذيعها يوسف الخطيب صاحب كتاب « ديوان الارض المحتلة » في اذاعة فلسطين من دمشق التي اسسها عام ١٩٦٤ . ويقف الشاعر المغربي ليؤكد على نقطة هامة طالما اثارت الجدل وهي ان هذا الشعر الفلسطيني لم يطرأ بشكل مفاجيء بعد حرب حزيران وانما كان في نمو مستمر منذ ثورة ١٩٣٦ حين ظهر جيل ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وابو سلمى ، واستمر هذا الشعر بعد ذلك يواكب الاحداث العربية والعالمية (ثورة مصر عام ١٩٥٢ ، العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، نضالات المغرب العربي ، الثورة الكوبية ، استقلال الجزائر الخ ...) وان الاسماء التي ترددت في هذه الفترة كانت اسماء حنا ابو حنا وعصام العباسي وحبيب قهوجي . الا ان فترة ١٩٦٠ — ١٩٧٠ كانت من اغنى الفترات التي وصل فيها هذا الشعر الى مستوى عالمي رفيع . لكن السنة التي يجب التوقف عندها هي ١٩٤٨ . العرب يطردون من مدن فلسطين وهي مركز الحركة الفكرية والادبية فتتوقف هذه الحركة بطبيعة الحال . اجيال عديدة من المثقفين تنفى الى خارج وطنها ويحاصر العرب الباقون في اسرائيل « حصارا ثقافيا » يمنع عنهم كل التيارات التي يموج بها العالم العربي ويحاول ارغامهم على تقبل الثقافة الصهيونية التي تسعى جاهدة لتسوية تراثهم . لكن هذا الوضع ذاته هو في اساس نمو حركة الشعر الشعبي في الريف الذي انتقلت اليه بقايا الحركة الفكرية . وظل كثير من هؤلاء الشعراء مجهولين لكن اثرهم كان عظيما في صفوف السكان العرب الذين كانوا يرددون اغانيهم في مظاهراتهم وثوراتهم مما اثار حفيظة الصهاينة الذين لم يتوانوا عن اغتيال هؤلاء الشعراء كما حدث في ام الفحم ، في الجليل ، عام ١٩٥٠ حين قتلوا الشاعر الشعبي المعروف باسم حميد . وقد غلب على اكثر الشعر الفلسطيني طابع الحزن والعزلة والمأساة كما يظهر هذا في قصائد ندوى طوقان قبل ١٩٦٧ . لقد ارتبطت القضية الفلسطينية فترة من الزمن بمؤسسات الصليب الاحمر ووكالة الغوث والجمعيات الخيرية الكثيرة في حين كان الستار قد اسدل على عرب اسرائيل الذين اعتبروا نهائيا سكانا في دولة « دموقراطية » فلم يكن احد ليعيرهم اي اهتمام . وهذه نقطة هامة جدا . ذلك ان اغلب الشعراء كانوا يعيشون داخل اسرائيل وكان شعرهم موجها بالدرجة الاولى الى العرب الباقين في الارض المحتلة مما يعطي لهذا الشعر اهميته القصوى كمحرض ومحرك للمشاعر القومية ضد « محاولات الابادة الثقافية والوطنية » كما يسميها محمود درويش . ان العرب الذين لم يغادروا الديار كانوا يعتبرون انفسهم مؤتمنين على الارض وعلى التاريخ وعلى التراث وحراسا لها جميعها . ان الشعر الفلسطيني ، كما يشير الى ذلك سميح القاسم ، كان يصور عرب اسرائيل على صورة الام ، في حين يصور الذين يعيشون خارج الارض المحتلة على صورة الاب الغائب . نفس النغمة في قصيدة محمود درويش « بانتظار الذين سيعودون » ، وقصيدة سميح القاسم « ما زال » . ان اللعبي يرى في درويش حارسا للارض وفي سميح قيما على الجذور العربية والقومية وفي توفيق زياد وسالم جبران مدافعين عن حقوق الانسان . فلو سرق الصهاينة الارض وطمسوا الاصول التاريخية يظل هناك من ينطق بلسان الانسان المسحوق ! ان المقارنة مدهشة مع مهمات المقاومة الموزعة على ثلاث جبهات : الوطن والتاريخ والانسان .

يذكر يوسف الخطيب ان الملكية الزراعية الصغيرة في فلسطين ، بعكس الانظمة الاقطاعية التي كانت قائمة في باقي الدول العربية ، قد شدت القروي الفلسطيني الى ارضه مهما تكن صغيرة الرقعة التي يملكها . وهذا يفسر لنا كيف كانت القرية تمثل الرباط القوي بين الانسان والارض ، خاصة وان القرية كانت الوحدة الاساسية في المجتمع الفلسطيني قبل ١٩٤٨ فباستثناء بعض المدن كالقدس وحيفا ويافا ونابلس وغزه كان كل ما يربط بينها مؤلفا من قرى كبيرة . لذلك يظهر في الشعر الفلسطيني تعلق شديد بالارض كما نجد هذا في قصيدة ندوى طوقان « الليل والفرسان » وفي قصائد لابراهيم طوقان الذي يهاجم « سماسرة الارض » ويسميهم بالخونة لانهم يبيعونها للغرباء.